

2022

ابرز المظاهر العمرانية في الاندلس في عصر الخلافة (300 هـ - 422 هـ)

أ.م.د. عمار ليبيد ابراهيم
كلية الآداب / الجامعة العراقية

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>



Part of the [Arts and Humanities Commons](#), and the [Law Commons](#)

Recommended Citation

Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal, (ابراهيم, أ.م.د. عمار ليبيد (2022) "ابرز المظاهر العمرانية في الاندلس في عصر الخلافة (300 هـ - 422 هـ - 422 هـ)
Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal: Vol. 8: Iss. 1, Article 9.
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol8/iss1/9>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

ابرز المظاهر العمرانية في
الاندلس
في عصر الخلافة
(300 هـ - 422 هـ)

أ.م.د. عمار لبيد ابراهيم
كلية الآداب / الجامعة العراقية

تمهيد

المراد بلفظ الاندلس اسبانيا الاسلامية بصفة عامة . اطلق هذا اللفظ في بادئ الامر على شبه جزيرة ايبيريا كلها ، على اعتبار انها كانت جميعها في يد المسلمين . ثم اخذ لفظ الاندلس يقل مدلوله الجغرافي شيئاً فشيئاً تبعاً للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الاسلامية في شبه الجزيرة ، حتى صار لفظ الاندلس اخر الامر قاصراً على مملكة غرناطة الصغيرة ، وهي اخر مملكة اسلامية في اسبانيا وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة ايبيريا . (1)

وتشمل حدود الاندلس ايام الخلافة الاندلسية ، كل البرتغال تقريباً واكثر اسبانيا الحالية وكانت الاندلس تمتد جنوب الخط الافتراضي الذي يصل بين نهر ((دويرة)) في الغرب حتى برشلونة في الشرق . مع ارتفاع الى الاعلى في الوسط . (2)

وكلمة اندلس اشتقتها العرب من كلمة واندلوس هي اسم قبائل الواندال الجرمانية التي اجتاحت اوربا في القرن الخامس الميلادي واستقرت في السهل الجنوبي الاسباني واعطته اسمها ، ثم جاء العرب وعربوا هذا الاسم الى اندلس وبعد سقوط مملكة غرناطة وانتهاء الحكم الاسلامي في اسبانيا (897هـ / 1492 م) اطلق الاسبان اسم اندا لوثيا على الولايات الجنوبية الاسبانية ، وهي المنطقة التي تشمل حتى اليوم ولايات قرطبة واشبيلية وغرناطة . (3)

فتحت الاندلس عام (92-95هـ) على عهد الخليفة الاموي الويد بن عبد الملك (86-96هـ) فاصبحت ولاية تابعة للخلافة الاموية في بلاد الشام ، ولما سقطت الخلافة الاموية بالمشرق عام (132هـ) حاول والي الاندلس يوسف الفهري (129-138هـ) ان يكون اميراً مستقلاً لايتبع احد بعد سقوط خلافة الامويين ، الا ان وصول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ابا سليمان الملقب بالداخل ، غير الامور وجعل الاندلس اماراً اموية بدأ فيها عهد جديد يسمى عصر الامارة الاندلسية (138-316هـ) وهي اماره وراثية حكمتها الاسرة الاموية (اسرة عبد

(1) - العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1978م ، ص 17 .

(2) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، 1989م ، ص 145 .

(3) - العبادي ، احمد مختار ، المرجع السابق ، ص 17 .

الحضارة التي بناها العرب المسلمون . ويحدد الدكتور العبادي (1) الخلفاء الذين تولوا الحكم في عصر الخلافة وهم كالتالي :

1- الخليفة عبد الرحمن الثالث ، الناصر لدين الله (300- 350هـ / 912 - 916م)

2- الخليفة الحكم الثاني ، المستنصر بالله (350- 366هـ / 961- 976م)

3- الخليفة هشام الثاني ، المؤيد بالله / والدولة العامرية الحاجب المنصور محمد بن عبد الله بن ابي عامر المعافري (366- 392هـ /

976- 1002م)

4- ولي الحجابة بعد وفاة المنصور ابنه عبد الملك الذي تلقب بالمظفر سيف الدولة ، واقره الخليفة هشام على ما كان عليه ابوه معه (392

- 399هـ / 1002- 1009م) ثم تولى بعد ذلك اخوه عبد الرحمن الذي

سمته العامة شنجول (399- 422هـ / 1009- 1031م)

وقد قسمت البحث الى ثلاثة مباحث تناول المبحث الاول مدينة قرطبة والقصر الخلفي ومسجد قرطبة الجامع اما المبحث الثاني تناولت فيه مدينة الزهراء وقصرها والمسجد الذي بنى فيها اما المبحث الثالث فتناولت فيه مدينة الزاهرة وقصرها والمبحث الرابع تناولت فيه مدينة المرية .

وقد اعتمدت في اعداد هذا البحث على امهات الكتب ك (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) للدريسي (ت 560هـ) و (البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب) لأبن عذاري المراكشي (ت 695هـ) ونفح الطيب في من غصن الاندلس الرطيب للمقري (ت 1014هـ) والعديد من المراجع الحديثة ك (في تاريخ المغرب والاندلس) للدكتور احمد مختار العبادي واثار المغرب والاندلس للدكتور طاهر مظفر العميد وتاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس للدكتور خليل ابراهيم السامرائي واخرون والعديد من المصادر والمراجع الاخرى .

ومن الله التوفيق

مدينة قرطبة

تقع مدينة قرطبة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير على سفح جبل العروس (2) اما اسمها فكلمة قرطبة واعتماداً على المعلومات التي

(1) - العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، 1978م ، ص 76- 77

(2) - الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، طبعة ليدن ، 1866م ، ج 5 ، ص 575 .

ادلى بها ياقوت الحموي بشأن اصل مدينة قرطبة ان اصل كلمة قرطبة ترجع الى مصدرين اولهما الروماني وثانيهما عربي ، اما معنى الكلمة في اللغة العربية فيقصد بها العدو الشديد وورد في الشعر العربي بيت جاء فيه ذكر الكلمة :

اذ رأيته قد اتيت قرطبا وجال في جحاشه وطرطبا

وفي رواية اخرى ان التعبير قرطبة بمعنى صرعه ، وتعني ايضا ان القرطبا هو السيف كأنه من قرطبة اي قطعة . (1)

اما بخصوص ارجاع اصلها الى اللغات القديمة ، فالكلمة اصلها أيبيري قديم مأخوذ من كلمة كوردوبا Corduba او Cordova ، وهي كلمة قديمة تشير الى مدينة قديمة ازلية ، فقد ورد ذكرها اثناء الصراع بين اليونان وقرطاجة حيث اشترك اهالي قرطبة في حملة هانيبال على روما كما انها اصبحت تابعة للإمبراطورية الرومانية بحدود سنة 206 ق.م (2) . فاخذت تجتذب العوائل والاسر الرومانية لما يتوفر فيها من عناصر المناعة و الحصانة وقوة البناء وجمال الطبيعة والموقع الاستراتيجي الجغرافي ، ويبدو ان تطورها صار سريعا اذ اتسع حجمها ومساحتها فاصبحت تتألف من جانبين يفصلهما سور منيع وذلك من اجل عزل خطط ومنازل الاهال عن المنشآت الادارية الحكومية فاستقر الاهالي في الجانب الشرقي في حين صار الجانب الغربي مخصصا لقصر الحاكم وجنده وقواده والمؤسسات الادارية الاخرى . (3)

وفي رواية اخرى ان اصل كلمة قرطبة قوطي والاصل فيها قرطبة بالضاد وتعني القلوب المختلفة . (4) فيرجع تاريخ مدينة قرطبة الى فترات تاريخية قديمة جداً ، وعندما وصلها العرب الفاتحون بقيادة مغيث الرومي مولى الخليفة وليد بن عبد الملك في سنة 92 هـ / 710م

وجدوها مدينة متكاملة يحيط بها سور متين حصين يحتوي على عدة ابواب ، ويحيط بالسور خندقاً يربطه بالسور قنطرة كبيرة مشهورة اما داخل المدينة فقد وجد العرب كنيسة وسكة كبيرة تعرف بالحجة العظمى

(1) - شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ) ، معجم البلدان ، طهران ، 1965م ، 4 اجزاء ، ج 4 ، ص 324 .

(2) - الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 866هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، 1907م ، ص 406-457 .

(3) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، القاهرة ، 1958م ، ص 17

(4) - المقري ، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1014هـ) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج 1 ، ص 458 .

وكان يقطنها كثير من الناس . على هذا الاساس فان العرب لم يكونوا المؤسسين الاوائل للمدينة . (1)

فوصفها الادريسي (2) عند دخول العرب لها انها تنقسم الى قسمين : شرقي وغربي يفصل بينها سور . وكان القسم الشرقي يقوم على جانب من الربض الشرقي الذي سمي في عصرالفتح والعهود التي تلتها باسم (الشرقية) وكان يشغل ما يعرف بالمدينة العتيقة ، اما القسم الغربي فتشغله القسبة او المدينة الوسطى ، وتقوم فيه مباني الدولة وثكنات الجيش .

ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخراً في بنائها واتقانها . وعدد قسيها سبع عشر قوساً بين القوس والقوس خمسون شبراً ، وسعة القوس مثل ذلك خمسون شبراً . وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبراً . لها ستائر من كل جهة تسترالقامة . وارتفاع القنطرة من موضع المشي الى وجه الماء في ايام جفاف الماء ثلاثون ذراعاً . واذا كان السيل يصل الماء منها الى نحو حلوها . وتحت القنطرة يعترض الوادي رصيف سد مصنوع من الاحجار القبطية والعمد الجافية من الرخام. على هذا السد ثلاثة بيوت أرصاء ، في كل بيت منها اربع مطاحن (3) ، ولهذه القنطرة اهمية سوقية حيث تصل جنوبي الاندلس بقرطبة والشمال الافريقي . (4)

وما زالت هذه القنطرة تحتفظ بكثير من معالمها الاندلسية الاسلامية وبقي ربض المدينة العتيقة الشرقي لقرطبة ، الذي يتألف من مجموعة ارباض المركز العمراني في عهد الخلافة ، وتقوم المدينة الوسطى ، او القسبة العتيقة في القسم الغربي (5) ، وكان يلتف حول القسبة القديمة سور من الحجارة . كما كان قصر مدينة قرطبة يتصل من جانبه الغربي بهذا السور من جهة الجنوب والغرب ، وكان الجامع على مقربة من القصر والى الشرق منه يفصل بينهما ساباط يسير الناس تحته من المحجة العظمى التي بين الجامع والقصر الى باب القنطرة . (6)

وكان لسور قرطبة سبعة ابواب هي :- باب القنطرة وتقع في الجنوب وبابان في الشرق هما باب الحديد وباب عبد الجبار ، وفي الشمال باب

(1) - ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، 1986م ، ص353

(2) - نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج5 ، ص 575

(3) - ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد المراكشي ، (ت 695هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، اربعة اجزاء ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، بريل ، 1951م ، ج2 ، ص 26 .

(4) - عنان ، عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ، 1969م ، ج1 ، ص 75 .

(5) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ص 41 .

(6) - الحميري ، الروض المعطار في خبرالاقطار ، ص 458 .

حسناً وجناناً واسعة نقل إليها غرائب الغراس ، وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار . (1)

تمتاز المباني والمنشآت التي اقامها عبد الرحمن الداخل في قرطبة بالطراز المعماري الاموي حيث شرع في بناء القصور اسوة باجداده خلفاء الدولة الاموية ، فبنى المدينة المعروفة بـ (الرصافة) الى الشمال الغربي من قرطبة للنزهة والسكنى ، وذلك في اول سني امارته وكان لقصر الرصافة سور يحيط به ويفتح فيه ابواب . وقد زار امراء الاندلس بعد عبد الرحمن الداخل في عمارة الرصافة وتنافس الشعراء في وصفها وبقيت بعد ذهاب الخلافة منتدى الادباء وملتقى الشعراء ثم اصبحت عند سقوط مدينة قرطبة مقراً للاباء الفرنسيين وقد تبقى منها اليوم بعض اثار جدران وقاعات وفي جوف هذه الاطلال باب يؤدي الى طريق في باطن الارض يقال انه كان يصل بين قرطبة والرصافة ، وان هذا الطريق يرتاده الامير عبد الرحمن متى شاء لنفسه الراحة بعيداً عن انظار رعيته . (2)

وكان يفتح في سور قرطبة سبعة ابواب ، كان في عصر الامارة خمسة ابواب ثم اصبحت سبعة منذ عصر عبد الرحمن الناصر حيث عمل هذا الخليفة على تحصين ابواب مدينة قرطبة . فابتنى لها ابواباً داخلية توازيها سنة (301هـ) لتيسير الدفاع عنها . واتاحة الفرصة للحراس لمضاعفة الحراسة. (3)

فأصبحت المدينة تتألف على حد قول الادريسي (4) من : ((مدن خمسة يتلو بعضها بعضاً بين المدينة والمدينة سور حاجز . وفي كل مدينة من هذه المدن الخمسة تضم ارباضاً ولم يكن مسوراً من هذه المدن الخمسة اول الامر سوى المدينة الوسطى او القصبة وعندما تعرضت قرطبة لأخطار الحرب الاهلية صنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع . وكان هذا الخندق يحيط بجميع ارباض قرطبة ومساكنها)).

قصر الخلافة

يقع القصر داخل المدينة وهو في الاصل بناء روماني قديم توارثه الملوك من العصر الروماني حتى الفتح العربي ، ثم اتخذه الولاة منذ ولاية

- (1) - فنج الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج2 ، ص 78
- (2) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج1 / ص 48-49
- (3) - ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 108 .
- (4) - نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص208.

مازالا يحتفظان بنظام البناء في جامع قرطبة نفسه بما في ذلك الركائز التي تدعم الجدران وتدفع عنها الضغوط . (1)

المسجد الجامع بقرطبة

لم يخلد اثر من الاثار الاسلامية في كتب التاريخ كما خلد المسجد الجامع بقرطبة يقوم جامع قرطبة العظيم فوق منطقة صخرية ، في جنوب غرب قرطبة ، وعلى مقربة من القنطرة العربية المقامة على نهر الوادي الكبير ، وتحيط به الدروب الضيقة من جهاته الاربعة ، وصاراثراً من اجمل وابدع الاثار الاسلامية الباقية هناك ، رغم انه حول الى كنيسة (كاتدرائية) . (2)

لقد بدأ العمل في انشائه سنة (170هـ / 786م) على يد عبد الرحمن الداخل ، وعمد الى جعله اعظم مساجد الاندلس وافخمها ، ويمكن تحديد المراحل التي مر بها المسجد الجامع بست مراحل:

الاولى : المسجد في زمن عبد الرحمن الداخل

الثانية : في عهد الامير هشام

والثالثة : في عهد الامير عبد الرحمن الاوسط

والرابعة : في عهد عبد الرحمن الناصر .

والخامسة : في عهد الخليفة الحكم المستنصر

والسادسة : في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر ، وفي هذا العهد الاخير اخذ المسجد الجامع بقرطبة صورته النهائية . (3)

ولكن عبد الرحمن توفي قبل اتمامه ، فآتمه ولده هشام ، وانشأ به منارته الاولى وزاد فيه عبد الرحمن بن الحكم بهوين جديدين من ناحية القبلة وانشأ فيه محمد بن عبد الرحمن مقصورة فخمة ، وفي عهد ولده عبد الله انشئ فيه ممر مسقوف يوصله بالقصر ، وجدد عبد الرحمن الناصر واجهته ، وهدم المنارة القديمة وانشأ مكانها اخرى ، ارفع واضخم ذلك سنة (340هـ / 951م) وهي تحتوي على سلمين احدهما للصعود والاخر للنزول ، وفي اعلاها ثلاث تفاحات ، اثنان من الذهب والثالثة من الفضة ، وكانت مربعة الواجهات ، ولها اربعة عشر شباكاً ذا عقود ، ثم زاد الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر في الجامع زيادة كبيرة ، فابتنى المحراب الثالث وعملت له قبة فاخرة كما انشأ الحكم فيه مقصورة جديدة ، لها قبة على الطراز البيزنطي وابتنى الى جانبه داراً للصدقة

- (1) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ص 205 .
- (2) - المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، 1988م ، ص 235 .
- (3) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، المساجد والقصور ، سلسلة اقرا ، دار المعارف بمصر 1928م ، ص 16

ويشير ابن الخطيب ان الناصر : ((زاد في المسجد الاعظم الزيادة الهائلة وبنى المنار الاعظم بقرطبة)) (3)

وقد استطاع مهندس جامع قرطبة دون فيليث هرنانديث ان يكشف عن جدران الصومعة الاسلامية كما كانت في العهد الاسلامي ، وهو التصميم الفريد الذي نشهد فيه نظام الدرج المزدوج ، ولم يتبق من المئذنة سوى جزء ارتفاعه 22 متراً بينما حفظ من الدعيمتين المركزيتين ما يبلغ 26 متراً . وكانت اسقف الادراج تتألف من قبوات صغيرة مربعة متعارضة متصلة فيما بينها ولكنها تتدرج في الارتفاع كلما ارتفعنا ، وكان يفصل بين كل مجموعة والاخرى عقود متجاوزة بارزة ، وكانت القبوات

العدد الثامن

مجسّصة مدهونة باللونين الأبيض والاحمر تزينها زخارف هندسية . وكان الجدار المطل على بيت الصلاة يزدان بثلاثة صفوف من النوافذ المزدوجة في حين كانت تزدان الجدران الأخرى بصفيين من نوافذ ثلاثية الفتحات تحيطها عقود متجاورة . وكان يعلو جدران الصومعة أفريز من عقود صماء قائمة على عمد صغيرة ويكلل الصومعة شرفات مسننة . (1) ان الأثر الذي تركه فن العمارة الإسلامية من خلال الصومعة والتحديث الذي أحيطت به من قبل عبد الرحمن الناصر انعكس في اتخاذ مؤنّنة الناصر أنموذجاً للمآذن الأندلسية المغربية . (2)

ويتسع الوصف للصومعة والمؤنّنة مترجماً أعجاب الكثير قديماً وحديثاً فيقول الأديسي (3) في معرض وصفه ((وبالوجه الأربعة الدائرة للصومعة صفات من قبس دائرة على عمد من الرخام الحسن ، وقد أحصى الأديسي أعمدة المؤنّنة فقال : ان عددها من الداخل والخارج بلغ ثلاثمائة عمود بين صغير وكبير)).

ولم تقتصر أعمال عبد الرحمن الناصر على إعادة بناء الصومعة والمؤنّنة بل تجاوزهما إلى أعمال الإصلاح والترميم ، ومن هذه الأعمال قيامه بترميم جدار واجهة بيت الصلاة الذي تصدع بسبب الدفع المستمر الذي تقوم به العقود فقام بترميمه ، وبنى واجهة أخرى ملتصقة بالجدار القديم ، وأصلح باب سن استيطان وأقام عليه ظلة تتكئ على مساند ملفوفة من نفس نوع مساند واجهة بيت الصلاة . وعلى هذه الواجهة بجوار المدخل إلى البلاط الأوسط نقش تاريخي فيه ((بسملة ... امر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أطل الله بقاه ببنيان هذا الوجه وأحكام اتقانه تعظيماً لشعائر الله ومحافظة على حرم بيوته التي أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلاثمائة على يدي مولاه ووزيره صاحب مبانيه عبد الله بن بدر . عمل سعيد بن أيوب)). (4)

ومع ازدياد سكان قرطبة زيادة كبيرة في عصر الناصر حتى ضاقت المدينة بمن وفد إليها من المسلمين ، ولم يعد بيت الصلاة في جامع قرطبة يتسع لمجموع المصلين في أيام الجمع ، مما حمل الحكم بن المستنصر على التفكير في الزيادة فيه فافتتح خلافته في رمضان عام (350هـ) بالنظر في توسيع بيت الصلاة بالجامع وعهد إلى حاجبه جعفر بن عبد الرحمن في اليوم التالي لبيعته بمهمة الإشراف على إحضار الأحجار من

(1) - المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 2 ، ص 89 .

(2) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص 30

(3) - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص 10-12

(4) - سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص 31-32

جبل قرطبة للزيادة المذكورة ، وخرج بنفسه لتقدير الزيادة ودراسة تخطيطها وتفاصيل بنائها وامتدت الزيادة نحو الجنوب ، فمدت صفوف الاقواس القديمة جنوباً مسافة 95 ذراعاً (46متراً تقريباً) . (1)

واقام على مدخل البلاط الاوسط من هذه الزيادة قبة كبرى مخرمة يبدو ان الغرض منها كان لأدخال الضوء كما اقام قبة اخرى عليه في اسطوان المحراب الجديد عام (354هـ) واحاط هذه القبة الاخيرة بقبتين جانبيتين ، وعمد مهندس جامع قرطبة الى رفع سقف البلاط الاوسط عن بقية البلاطات الاخرى ، حيث ان ظاهرة القباب المتعددة فكرة جديدة استحدثها مهندس الحكم . (2)

وسجل بناء القاعدة المشبكة لهذه القبة في نقش كتابي يغطي الطرة الكبرى التي تحيط بعقد المحراب ، وفي نفس السنة شرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع ، فاجرى الفسيفساء على واجهة المحراب وواجهة العقدين المجاورين له (3) .

فزين به وجه المحراب ووجه كل من العقدين اللذين يكتنفانه شرقاً وغرباً وقد سجل ذلك في نقش كوفي يعلو عقد المحراب نصه : ((بسم الله الرحمن الرحيم امر عبد الله الحكم امير المؤمنين اصلحه الله فولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله يعمل هذه الفسيفساء في البيت (4))) .

وفي سنة (355هـ) امر الحكم بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب ونصب في قبة زيادته مقصورة من الخشب منقوشة الظاهر والباطن ، طولها (75) ذراعاً وعرضها (22) ذراعاً وارتفاعها الى الشرفات (8) اذرع وجعل لها ثلاثة ابواب بديعة الصنعة عجبية النقشة (5)

وفي سنة (356هـ) اجرى الماء الى سقايات الجامع واقام منبراً عدد درجاته تسع مركباً من ست وثلاثين الف وصلة مصنوعة من اكارم الخشب وجملة القول ان زيادة الحكم زودت الجامع بتناسقه وايقاع اجزائه وعظمته وذلك باقامته المقصورة وتتويجها بثلاث قباب وتوسط المحراب واجهة المقصورة بحيث يكتنفه عقدان متمثلان الايمن به مشرع يؤدي الى السباط والايسر يفضي الى مخزن الجامع . (6)

(1) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 354 .

(2) - سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص 330

(3) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 2 ، ص 88

(4) - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 89

(5) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 2 ، ص 88

(6) - سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص 34 .

واختتم الحكم اعمال البناء ، بانشاء دارللصدقة غربي الجامع ، لتكون معهداً لتوزيع صدقاته ، كما اقام في ساحة الجامع مكاتب لتعليم اولاد الضعفاء والمساكين . (1)

وفي سنة (377هـ) شرع المنصور بن ابي عامر في زيادته للجامع في الجهة الشرقية لتعذر الزيادة فيه من الجهة الغربية بسبب قيام القصر الخلافي ، المقابل للجامع وتعذرهما من الجهة القبليّة لقرب جدار القبلة من الوادي ، فضلاً عن الزيادة من هذه الجهة ستؤدي حتماً الى هدم المحراب العظيم الذي اقامه الحكم بقبابه الثلاث ، اما الجهة الشرقية فقد كانت عامرة بالدور والمستغلات مما اضطر المنصور الى هدم الدور والمنازل القائمة بعد ان عوض اصحابها ثمنها . (2)

استغرقت زيادة المنصور عامين ونصف عام مكلفاً من قبل الخليفة هشام ابن الحكم الذي عينه حاكماً على المدينة ، وراعى المنصور في زيادته ان يسودها نوع من الانسجام والتناسق مع بناء المسجد كله ، وكذلك راعى في زيادته المبالغة في الاتقان دون الاهتمام بالزخرفة . (3)

لقد اصبح هذا الجامع الذي وصف بانه اروع امثلة العمارة الاسلامية في العصر الوسيط بمثابة جامعة اسلامية ، تدرس فيه كافة العلوم ويفد اليه الطلاب من مختلف الاقطار ، وصار احد المآثر التي تميزت بها قرطبة ، وكان مصدر فخرها ، وظل هذا المسجد قبلة تهفو اليه قلوب المسلمين من كل مكان ، وظل جامعة اسلامية كبيرة يقصدها طلاب العلم والعلماء حتى اجرى عليه ملوك الاسبان وحكامهم التغييرات الكثيرة التي شوهته ، لكنه مع ذلك ظل يحمل حتى اليوم طابع الفن العربي الاسلامي العظيم . (4)

ويصف الدكتور (5) غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب هذا الجامع بقوله : ((كان جامع قرطبة يفوق معابد الشرق قاطبة بعظمته وروعته ، فترى ارتفاع مئذنته اربعين ذراعاً ، وترى قبته الهيفاء تقوم على روافد من الخشب المحفور وتستند الى 1093 من الاعمدة المصنوعة من مختلف الرخام على شكل رقعة الشطرنج فيتألف منها تسعة عشر صحناً واسعاً طويلاً وثمانية وثلاثون صحناً ضيقاً عريضاً وترى في وجهه الجنوبي المقابل للوادي الكبير تسعة عشر باباً مصفحاً بصفائح برونزية عجيبة الصنع خلال الباب المتوسط الذي كان مصفحاً بالواح من

(1) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج2 ، ص 355

(2) - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 428

(3) - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص 76.

(4) - المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص 235 .

(5) - نقله الى العربية عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، 1948 م ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ص 352

الذهب ، وترى كل من وجهه الشرقي الجانبي ووجهه الغربي الجانبي تسعة ابواب مشابهة لتلك الابواب))

وجامع قرطبة اقيم ايام كان الفن العربي في فجره ثم تدرج الفن العربي حتى وصل الى الكمال ، ويعد جامع قرطبة الذي بني في القرن الثامن من الميلاد وبعض المباني في طليطلة من اثارالدورالاول لفن العمارة العربي باسبانية، وتعد منارة لاجيرالدة (لعبة الهواء) الاشبيلية التي اقيمت في القرن الثاني عشر من الميلاد والقصرالاشبيلي من اثار الدورالوسط لفن العمارة العربي ، وتعد قصر الحمراء الغرناطي الذي شيد في القرن الرابع عشر من الميلاد عنواناً لما انتهى اليه فن العمارة العربي . (1)

ولايزال جامع قرطبة من المباني المهمة مع ما احدثه الاسبان فيه من التلف والفساد ومع تلك الكنيسة الواسعة التي اقاموها فيه لتطهيره ، ومما صنعه الاسبان ان كلسوا زخارف جدره وكتاباتنه ونزعوا منه فسيفساء ارضه وباعوا تحف سقفه الخشبية المحفورة المزوقة ، فيجب على من يرغب في تمثيل ما كان عليه جامع قرطبة ان ينظر الى محرابه الذي افلت وحده من التخريب . (2)

ويقوم سقف جامع قرطبة على اعمدة ، ويتكون من اجتماع هذه الاعمدة صفوف من الصحن المتوازية المؤدية الى باحته ، وتتقاطع هذه الصحن وصحن اخرى كتقاطع الاضلاع الذي ينشأ عنه زوايا قائمة ، ويتألف من مجموع تلك الاعمدة غابة من الرخام واليصب والغرانيت ، وتعلو تلك الاعمدة اقواس رائعة منضدة مصنوعة على شكل نعل الفرس ، ويؤدي ارتفاع سقف جامع قرطبة الذي لايزيد على عشرة امتار الى تنضد اقواسه وتنوع زخارفه فينشأ عن ذلك منظر مبتكر بديع قلما تجد مثله في مبانٍ اخرى ، واما محرابه فانك لا ترى احسن من زخرفه وسنائه في اي اثر قديم او حديث فانه اجمل ما تقع عليه عين بشر . (3)

وبعد توالي التغييرات عليه من قبل الكنيسة اعلن المسجد الجامع بقرطبة اثراً قومياً في سنة (1881م) قام دون ريكاردوف فلاسكت بوسكو مدير مدرسة العمارة بمدريد ، بالاشراف عليه واصلح مصلى فيلافيتوسا كما اصلح سقف الجامع الخشبية وارضيته القديمة ، وواصل المهندس بوسكو اعمال الترميم ، فاعاد وضع الاسقف الخشبية في البلاط

(1) - غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص 349

(2) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، ص 230

(3) - غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص 352

الأوسط بجامع قرطبة ، كما أصلح الأبواب الخارجية في زيادة المنصور
، وتم الفراغ من جميع أعمال الترميم في سنة 1914م .⁽¹⁾

(1) - سالم ، الدكتور عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج 1 ، ص 349

مدينة الزهراء (ومسجدها وقصرها)

شرع عبد الرحمن الناصر بناء الزهراء في اول يوم من المحرم سنة (325هـ) على مذكره المقرئ في نفح الطيب . (1) وايد معظم مؤرخين هذا التاريخ . (2)

تقع الزهراء شمالي غرب قرطبة على بعد سبعة كيلومترات من مركز مدينة قرطبة ، وشيدت على سفح جبل العروس وهو احد الجبال المحيطة بقرطبة ، وكان الطريق القديم الذي يفضي الى الزهراء في عهد الخلافة يخرج من احد ابواب قرطبة الغربية المسمى بباب ((ليون)) وينتهي عند باب ((الجبلة)) في السور الشمالي لمدينة الزهراء . (3) يقول الادريسي في وصف الزهراء (4) : ((ومن مدينة قرطبة الى مدينة الزهراء خمسة اميال ، وهي قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها ، وفيها قوم سكان بأهلهم وذرائعهم وهم قليلون . وهي في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية ، مدينة فوق مدينة سطح الثلث الاعلى يوازي على الجزء الاوسط . وسطح الثلث الاوسط يوازي على الثلث الاسفل ، وكل ثلث منها له سور ، فكان الجزء الاعلى منها ، قصوراً يقصر الوصف عن صفاتها ، والجزء الاوسط بساتين وروضات ، والجزء الثالث فيه الديار والجامع وهي الان خراب وفي حال الزهاب .

واسباب بناء هذه المدينة تتحدد بالدوافع الاتية :- (5)

- 1- اريد لهذه المدينة ان تكون مقراً للخلافة الجديدة .
 - 2- الابتعاد عن صخب العاصمة قرطبة بعد ان ضاقت مرافقها نتيجة الزخم السكاني الذي كان يزداد سنوياً .
 - 3- بناء المدن صفة وصف بها الخلفاء والسلطين العظماء تخليداً لعصورهم المجيدة .
 - 4- عرف عن الناصر كلفة بناء القصور والاعتناء بتنميتها وتزينها وصرفه الاموال الكثرة في هذا المجال .
- ويروى ابن عذاري في كتابه البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب (1) . ان اعمدة الرخام في الزهراء بلغت حوالي 4313 سارية ،

(1) - ج 2 ، ص 101

(2) - الشريف ، الادريسي ، ص 212 ، ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 209 ، الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص 95

(3) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص 289

(4) - الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص 312

(5) - السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص 177 .

منها 1013 جلبت من قرطاجة وتونس ، 140 اهداها اليه ملك الروم في القسطنطينية ، وبقية الاعمدة جلبت من داخل اسبانيا .

وقد عمل في بناء الزهراء جيش من العمال والمهرة اشرف عليهم خيرة المهندسين والمعماريين في ذلك الوقت ، وقامت المدينة على مسطح من الارض طوله من الشرق الى الغرب الفان وسبعمئة ذراع ، وعرضه من القبلة الى الجنوب الف وخمسائة ذراع ، واستمر البناء فيها نحواً من اربعين سنة وخول الناصر ابنه وولى عهده الحكم المستنصر مهمة الاشراف على البناء ، ولكن على الرغم من ذلك فقد انتقل اليها عبد الرحمن الناصر سنة 336هـ / 947م ونقل اليها بيت المال كما نقل اليها نسائه واولاده وخدمه وحراسه واستقبل فيها السفراء .⁽²⁾

وتفيد الاثار الباقية ان مدينة الزهراء كانت تحتل مستطيلاً طوله 1500 متراً ، وعرضه 750 متراً ، وان المياه كانت تأتيها من اعلى الجبل في قنوات على بعد ثمانين كيلومتراً وقد اقتضى هذا الامر الى نقب الجبل بطريقة هندسية رائعة لاتزال اثارها باقية الى اليوم على شكل عيون في الجبل ، حيث كانت الزهراء مدينة ثلاثية مدرجة على سفح الجبل : القسم الاعلى فيه قصور الخلافة ، والقسم الاوسط عبارة عن بساتين ورياض والقسم الاسفل يحتوي على المسجد ومنازل الخاصة بالحراس ، وكل قسم من هذه الاقسام له سور وابواب .⁽³⁾

اما سبب تسمية المدينة (بالزهراء) فاننا لانجد في النصوص التاريخية ما يشير الى سبب مقنع ومعقول ، ماعدا رواية ذكرها المقرئ : (نقلًا عن بعض شيوخ قرطبة ملخصها بان الخليفة عبد الرحمن الناصر ماتت له سرية وتركها له مالا كثيراً فامر ان يفك به اسرى المسلمين في بلاد الفرنج ، فلما لم يجد اسيراً واحداً طلبت منه جارية التي اسمها زهراء والتي كانت يحبها حباً شديداً ان يبني لها مدينة ويسمياها باسمها ، فبنى هذه المدينة ثم امر ان تنقش صورها على باب المدينة .⁽⁴⁾

والزهراء تأنيث الازهر وهو اللون الابيض المشرق وكلمة الازهر تعني النير ايضاً ولذلك سمي القمر الازهر .⁽⁵⁾

وتنقسم اطلال الزهراء بصفة عامة الى ثلاث مجموعات ، مدرجة من اعلى الى اسفل . وتشمل المجموعة الاولى مواقع القصر الخلفي والمقام الخاص ، وتشمل الثانية فيما يبدو مساكن الحاشية والحرس ، وتشمل المجموعة الثالثة وهي الواقعة اسفل الربوة في بسيط معتدل من

(1) - ج 2 ، ص 231

(2) - المقرئ ، فنج الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 1 ، ص 524

(3) - العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص 206

(4) - المقرئ ، فنج الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 2 ، ص 65

(5) - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 962

اما المسجد ، فيقع لوحده ما بين الطبقة الثانية والثالثة من المدينة وقد اورد لنا المقري (2) معلومات كثيرة عنه ، فقد كان يعمل فيه كل يوم الف بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الاجراء وسائر الصنائع واستتم بنيانه في مدة ثمانية واربعين يوماً فجاء في غاية الاتقان من خمسة ابهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشي المقصورة ثلاثون ذراعاً وعرض البهو الاوسط من ابهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشر ذراعاً وعرض كل بهو من الابهاء الاربعة المكتتفة له اثنا عشر ذراعاً وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث واربعون ذراعاً وجميعه مفروش بالرخام الخمري وفي وسطه نافورة يجري فيها الماء ، فطول هذا المسجد اصبح من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبعة وتسعون ذراعاً وعرضه من الشرق الى الغرب تسعة وخمسون ذراعاً وطول صومعته في الهواء اربعون ذراعاً وعرضها عشرة اذرع في مثلها ، وامر الناصر لدين الله باتخاذ منبر يدعى لهذا المسجد فصنع في غاية الحسن ووضع مكانة وحوله مقصورة عجيبة الصنعة ، وكان وضع هذا المنبر في مكانة من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة 329 . (3)

(3) - نفح الطيب ، ج 2 ، ص 266

اشتغل بالتنقيب في هذا المسجد السيد بافون ، ونشرت نتائج أبحاثه التي تناولت مسجد الزهراء بالتفصيل وذكر بأن المسجد يتجه نحو الجنوب الشرقي باتجاه صحيح نحو القبلة ولذلك كان من السهل جداً تحديد مكانة في الفترة الأولى من أعمال التنقيب في مدينة الزهراء وهو مسجد صغير يبلغ طوله 53.74 م وعرضه 34 متر ويتألف من خمسة ابهاء تفتح على صحن مرصوف بالرخام الأحمر الخمرى تتوسطه نافورة ويبلغ ارتفاع مآذنته 11 متر . (1)

وابتنى الناصر في مدينة الزهراء قصراً عظيماً في جانب من جوانبه ثمانية ابواب مزينة بالذهب والجوهر ، وأقيمت في باحاته وممراته ، التماثيل الجميلة للطيور وبعض الحيوانات ، وهي تقذف المياه من أفواهها في أحواض خاصة لذلك . (2)

ويسهب غوستاف لوبون في وصف قصر الزهراء بقوله (3): (كان يزين ذلك القصر 4300 عمود من الرخام الثمين الكامل الصنع ، وكانت رداة مبلطة بقطع من الرخام المنقوش بمهارة على الف شكل ، وكانت حواجز هذه الرداة مغطاة بالمرمر ومزخرفة بالافاريز ذات الالوان الباهرة ، وكانت سقفه ذات نقوش ذهبية لازوردية متشابكة ، وكانت جسور هذه السقوف وترايبعها الارزية دقيقة متقنة الصنع ، وكان في بعض رداهه عيون عجيبة تصب مياهها الصافية في صهاريج رخامية ذات اشكال متنوعة انيقة ، وكان في ردهة الخليفة عين مصنوعة من اليبسب ومزينة باوزة عجيبة من الذهب عملت في القسطنطينية وكان بالقرب من القصر الحدائق العظيمة ذات الاشجار والرياحين ، وكان في وسط هذه الحدائق وعلى مكان مشرف منها قبة الخليفة التي كانت قائمة على اعمدة رخامية بيض ذات تيجان مذهبة ، وكان في وسط هذه القبة حوض كبير من الرخام السماقي مملوء بالزئبق الذي كان يتدفق بشكل عجيب تدفقاً مستمراً فكانت اشعة الشمس تنعكس عليه بما يأخذ بمجامع القلوب ، جلب الرخام الابيض الى قصر الزهراء من المرية ، والوردي والاخضر من قرطاجة وتونس ، وامر الخليفة بأن تنصب هناك صور ذهبية وحجرية لاثني عشر حيواناً مصنوعة في قرطبة فكانت المياه تتدفق من أفواهها على الدوام .

وقد اثبت التنقيبات صحة ما ذكره الادريسي (4) من الطبقة الاولى العليا من المدينة تشتمل على قصور عظيمة فان ما كشف عنه من المباني الواقعة الى الشرق من منطقة السور الشمالي من المدينة في الطبقة العليا

(1) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص 292

(2) - المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص 118 .

(3) - حضارة العرب ، ص 355-356

(4) - نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص 212 .

منها هي القصور التي ذكرها الإدريسي وعثر على مجموعة من ابنية مستقلة يقع مدخلها بعيداً عن مداخل القصور الواقعة الى الجهة الشرقية وتتفصل عنها بطريق منحدر هذه الابنية هي الدواوين ، وقد شيدت الابنية على ارتفاعات مختلفة ينتهي اعلى ارتفاع لها عند الجدار الغربي من القصر المسمى بالمجلس الغربي .

اما المقرري (1) فيصف بهاء هذه القصور التي تقع الى الشرق من الدواوين حيث تمتد بخط يجري من الشرق الى الغرب بموازية السور الشمالي للمدينة وتفتح على شارع ضخم مرصف هو (السطح الممرد) .

وما تم اكتشافه من هذه القصور هو المجلس الغربي (المجلس الكبير) سنة 1910 م ويقع هذا المجلس الى الغرب من القصور التي تفتح على السطح الممرد ويفتح باتجاه الجنوب بخمس ابهاء يتقدمها رواق يبلغ طول هذا المجلس 38.88 متر اما الابهاء الجانبية فاقل عرضاً منها ويبلغ عرض الرواق الوسطى 6.90 متر كما يبلغ عرض المجلس كله 20.2 م ويفتح على فناء كبير يبلغ طوله 52.90 متر وعرضه 39.30 متر تفتح الابهاء على الرواق الامامي بخمسة ابواب تغلق كلها بالواح من الخشب ولا تزال الاعقاب التي كانت تدور عليها الابواب موجودة على الارض في محلها ، وقد بلطت ارضيته بقطع من الحجارة الكبيرة الحجم وليس فيه ماهو متخذ من الرخام سوى قواعد الاعمدة والتيجان . وقد زينت اسافل الجدران بوزرة من الجص الابيض يعلوها شريط احمر اللون. كما ان القصور التي اشارت اليها النصوص التاريخية تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة ، منها قصر يتكون من عشرة اروقة يعتقد انه قصر الخلافة العظيم . وما زالت بقية القصور بشكل مرتفعات مربعة الشكل تغطيها اليوم البساتين والمزروعات وهي بحاجة الى الكشف (2)

هذا ماتم اكتشافه من مباني الطبقة الاولى من المدينة اما قصر الخلافة فقد امكن تمييزه ، حيث عثر في التنقيبات على قطع كثيرة من مرمر هذا القصر وبها ثقب فارغة تشير الى تطعيمه بالاحجار الكريمة ، وهو من احسن واهم ابنية المدينة وكان فيه حوض كبير مملوء بالزئبق (3) ومع استمرار اعمال الحفريات في مدينة الزهراء . فقد تم اكتشاف الكثير من معالم المدينة ، ومنها اكتشاف دار الجند سنة (1912م) وتم تجديده سنة (1944م) واكتشاف الجناح الشرقي سنة (1954م) والبحيرات سنة (1945م) وبدأ العمل بها سنة (1954م) ودار الرخام الذي بدأ التنقيب

(1) - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 2 ، ص 100

(2) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص 293

(3) - المرجع نفسه ، ص 294 .

به سنة (1964م) ، ثم ممر الجند الشرقي والسباط سنة (1964م) ايضاً
(1) .

ولم تعمر مدينة الزهراء طويلاً فقد ظلت قصراً للخلافة في عهد الناصر وولده الحكم المستنصر ثم فقدت اهميتها وبريقها السياسي عندما سيطر الحاجب المنصور بن ابي عامر على مقاليد الامور وبنى المدينة المعروفة بالزاهرة . (2)

وبعد بناء الزاهرة اخذ شأن الزهراء يقل تدريجياً بعد تاريخ 370هـ / 980م حتى شملها التهديم ، ففي عام 415هـ / 1024م وفي عهد المستنصر عندما تولى العهد سليمان بن هشام بن عبيد الله بن الناصر استؤصلت قصور الناصر . (3)

ففي ايام المستنصر استئصل بقية قصور جدهم الناصر بالخراب وطُمست اعلام قصر الزهراء واقتلع نحاس الابواب ورصاص القنى وغير ذلك من الالات في اواخر حكم المستنصر (414-416هـ) فاصبحت بعد هذا التاريخ وفي عهد المعتمد بالذات خراباً . (4)

فكان اخر من زارها الخليفة الموحي المهدي ابو يعقوب المنصور حيث مر بها في عام 586هـ / 1190م . فأمر بأن يرفع التمثال عن باب المدينة . (5)

ومن اعمال الناصر المعمارية الهامة ، اعادة بناء مدينة سالم ، التي تقع شمالي مدريد بنحو 153 كيلومتر في الطريق الذي بين مدريد وسرقسطة وهي الان من اعمال مقاطعة سورية . وقد عرفت هذه المدينة قديماً في العصر الروماني باسم اوسيلس ، ولما فتح العرب اسبانيا ، عمر هذه المدينة زعيم مغربي اسمه سالم بن ورعمال المصمودي الذي يحتمل ان يكون من قادة الرعيل الاول الذي قام بفتح اسبانيا . ومنذ ذلك الوقت عرفت هذه المدينة باسم هذا القائد سالم . ويبدو ان الفتن التي حلت بالاندلس في ايام الامير عبد الله الاموي ، قد خربت هذه المدينة ، اذ انه لما ولي عبد الرحمن الناصر اعاد بناءها وجعلها ثغراً حربياً لمواجهة امارة قشتالة الناشئة واشرف على بنائها مولاة غالب وغيره من قواد الثغور ، فنقلوا اليها البنائين والالات وبنيت احسن بناء ، واصبحت مدينة سالم منذ

(1) - العزي ، نجلة اسماعيل ، قصر الزهراء في الاندلس ، بغداد ، 1977م ، ص 84 .

(2) - السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص 178 .

(3) - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 142

(4) - العزي ، قصر الزهراء في الاندلس ، ص 40-41

(5) - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 179 .

كما ان هناك دافعاً سياسياً دفع المنصور بن ابي عامر الى اتخاذ مدينة الزاهرة بالقرب من المدينة الام قرطبة لكونها تقع في الجانب الشرقي من نهر قرطبة (الوادي الكبير) ، وبهذا تتضح اهميتها السياسية نظراً لموقعها ازاء عاصمة الخلافة القديمة قرطبة ، والعاصمة الجديدة الزهراء. (1)

وانتقل المنصور محمد بن ابي عامر الى المدينة الزاهرة سنة 370هـ / 980م بحاشيته وخاصة من الحرس ، وحجز الخليفة هشام المؤيد في مدينة الزهراء ، ووضع في مدينة الزاهرة اسلحته وامواله واتخذ فيها الدواوين واقطع ماحولها لوزرائه وكتابه وقواده واقام فيها الاسواق حتى تنافس الناس بالنزول فيها . (2)

ووصفت هذه المدينة ، باتساع حركة العمران فيها وروعة البناء وكثرة القصور والمنتزهات التي احيطت بها ، وقد اشار ابن عذاري (3) الى ذلك بقوله : ((ارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالمشيدات الباهرة ، حيث اقامها بطرق البلد على نهر قرطبة الاعظم)). واورد ابن عذاري (4) معلومات غير مفصلة عن القصور والدور التي احيطت بالقصر الجديد (قصر الزاهرة) حيث عرفت بانها باهرة كقصر ناصح وقصر زاهي ، ومن اشهرها قصر العامرية واحياناً يطلق عليه دار العامرية التي اصبحت من اهم ضواحي المدينة ومنية من منياتها ، اتخذها دوراً للمباهاة والفخامة ، حيث تقع على نهر قرطبة الملتوي (الوادي الكبير) ومن الدور المهمة الاخرى التي يشار اليها في مدينة الزاهرة (دار السرور) وهي احدى منيات المنصور ذات الشرفات العالية والقائمة على اعمدة من الرخام ، كذلك توسع المنصور بن ابي عامر في بنائه لدار (الرصافة)).

ويذكر ابن الخطيب (5) : ((بلوغ المدينة من الاتساع والانبساط وبعد الاقطار حتى بلغت ارباضها * احدى وعشرين ربضاً ، كل ربض منها يعد اكبر مدينة من مدائن الاندلس ففي الجهة الغربية منها تسعة : ربض الرقاقين ، ربض مسجد الكهف ، ربض حوانيت الريحاني ، ربض مسجد

(1)- ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في تاريخ المدن الاسلامية ، جامعة البصرة ، 1986م ، ص 387 .

(2) - المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج2 ، ص 112

(3) - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج2 ، ص 275 .

(4) - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 285-300

(5) - لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776هـ / 1374م) ، اعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكنانى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964م ، ص 80 .
* الربض : مدينة يدخل بها الجامع والسوق .

وفي داخل المدينة ثلاثة ارباض هي : ربض الرصافة ، وربض باب اليهود وربض قوات راسة المنسوب الى ام سلمة ، وفي جنوب المدينة اثنان هما : ربض شفندة وربض منية المغيرة ، اما في الجهة الشرقية فهناك ربض منية عبد الله ، وربض فرن بريل وربض فحص الناعور، وربض المدينة وهي القصبة العتيقة وواسطة البلدة وهذا يتفرع الى عدة ارباض يتولاها العرفاء في المحارس كل على حدة .⁽¹⁾

ويذكر المقرئ (2) عن توسع مدينة الزاهرة واتصالها بمدينة قرطبة والزهاء لكثرة المباني والعمائر فيشير الى ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهاء والزاهرة بحيث يمكن للمرء ان يرى الطريق المضاءة بسبب امتداد العمائر على طول عشرة اميال)).

ولم تعمر مدينة الزاهرة طويلاً فقد كان عمرها رهيناً بعمر الدولة العامرية فما ان قتل عبد الرحمن الملقب بـ (شنجول) حتى عم الخراب عمائر هذه المدينة ونهبت قصورها وانتهت رسومها في الفوضى التي عمت البلاد سنة 399هـ.⁽³⁾

واندثرت بهذا التخريب تلك المدينة اندثاراً يختلف عن ذلك الذي حل بالزهراء اذ عثر على الكثير من قطع المدينة الاخيرة مبعثرة في بلدان اخرى ، وتم التعرف عليها بفضل ما عليها من كتابات ، بينما لم يبق شيء من مآثر الزاهرة سوى حوض من المرمر ، مكسور وغير كامل ، وصل الى اشبيلية ويحفظ الان في المتحف الوطني بمadrid . (4)

ومن اعمال المنصور بن ابي عامر بناءه قنطرة قرطبة التي بناها على الوادي الكبير 389هـ وقنطرة استجه على نهر شنيل وسط الجبال ، فسهلت الطرق الوعرة والشعاب الصعبة ، هذا الى جانب الجباب والسبل لسقى الناس . (5)

من مشهور مدن الاندلس ، وهي على ساحل البحر ، ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران ، بناها عبد الرحمن الناصر ، وعظمت في

- (1) - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص 82
- (2) - فنج الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج4 ، ص 99
- (3) - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص 110
- (4) - السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص 202 .
- (5) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج2 ، ص 288

دولة المنصور بن ابي عامر وولى عليها مولاه خيران ، فنسبت القلعة اليه
(1) .

جاءت تسمية المرية من موقعها الجغرافي ومفرده المرية اسم الجبلين
ينحصر بينهما خندق معمور وتتربع على احد الجبال قصبة المنطقة
المعروفة بالحصانة ، وعلى الجبل الثاني ربض القصبة ويحيط بالمدينة ،
وللمدينة ابواب عديدة ، وتشتهر المدينة بكثرة خيراتها ومصادر الرزق.(2)
اسست مدينة المرية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد امر
ببناءها لغرض اتخاذها مربطاً ومحرساً للسواحل الاندلسية ولتكون خطاً
دفاعياً عسكرياً يدافع عن تلك السواحل من الاخطار الخارجية لاسيما من
النورمان * والفاطميين (3)

والمهمة الثانية لمدينة المرية في هذا المجال هي ان تكون محرساً
بحرياً لمدينة بجانة القريبة منها ، والتي تبعد عنها مسافة ستة اميال ،
ومن ذلك جاءت تسميتها بـ (بحرية بجانة) . (4)

وذلك فهي قاعدة بحرية مهمة لها اختصاصات الدفاع عن السواحل
الاندلسية والانباء عن اي خطر قادم من البحر قبل وقوعه ، وتصف
المراجع مدينة المرية بانها مدينة متقنة البناء بديعة الشكل لها قصبة عظيمة
في رأس جبل ، وقد اشرف على المدينة والقصبة سور متقن لايسطيع

(1) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 1 ، ص 153

(2) - المعاضيدي ، د. خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص 247 .

*- النورمان ، او الفيكنج من الامم البحرية العتيقة التي تسكن في البلاد الاسكندنافية ،
اي السويد والنرويج ، والدانمارك الحالية ، وكلمة النورمان تعني سكان الشمال ،
وكان من طبيعة هؤلاء النورمان حب المغامرة وجوب البحار بحثاً عن الاماكن
الضعيفة في الشواطئ لمهاجمتها وسلبها . وتعرضت شواطئ الاندلس الغربية
الى هجمات النورمان لأول مرة في اواخر عام (229هـ / 844م) . العذري ، احمد
بن انس العذري المعروف بابن الدلائي (ت 478هـ) - نصوص عن الاندلس ،
تحقيق عبد العزيز الاهواني ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ،
1965م ، ص 98 .

(3) - الحجى ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط
غرناطة ، الطبعة الاولى ، 1976م ، ص 304 .

* الفاطميين ، اسرة عربية اسست دولة في المغرب الادنى سنة (909هـ) ونقلوها
الى مصر سنة (969م) واستقلوا بها عن الدولة العباسية واتسمت العلاقة بينهم
والاندلس بالعداء الشديد وقد حاول كل منهم التوسع على حساب الآخر ، السامرائي
، الدكتور خليل ابراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص
165 .

(4) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، تاريخ مدينة المرية ، قاعدة الاسطول
الاندلسي ، مكتبة الابحاث التاريخية والاثريه ، دارالمعارف ، مصر ، 1962م ،
ص 69 .

المرء ان يصعد الى قصبته الا في مشقة وكلفة وهذا السور بناء الخليفة عبد الرحمن الناصر . (1)

ويصف صاحب نفح الطيب في قوله عن مدينة المرية : ((وبها من صنعة الديباج ماتفوق به على سائر البلاد ، وفيها دار الصناعة ، وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ، ومن ابوابها باب العقاب عليه صوارة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر ، ومن خصائص ما عرفت به مدينة المرية احتوائها على ثمانمائة نول لنسج طرز الحرير ، وللحلل النفيسة والديباج الفاخر الف نول ، وللاسقاطون كذلك ، وللثياب الجرجانية كذلك ، للاصفهانية مثل ذلك ، وللعنابي والمعاجر المدهشة والستور المكلفة ، ويصنع بها من صنوف الات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف ، وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسناً ، وساحلها افضل السواحل ، وبها قصور الملوك القديمة الغربية العجيبة . (2)

وعلى ان هناك اسباباً اخرى تقف وراء اقدام الخليفة الناصر الى بناء هذه المدينة يمكن حصرها بما يلي :

1- موقعها على ساحل البحر ، اكسبها خصوصية كبيرة ،

تتعدد عندها الاستخدامات

2- موقعها بين قلاع ، وحصون عديدة اكسبها قوة وقدرة

قتالية دفاعية .

3- تمتلك خليجاً واسعاً وعميقاً يمكن من رسو عدد كبير من

السفن اضافة الى هدوء وقلة اضطراب الامواج فيه . (3)

ووادي المرية طوله اربعون ميلاً في مثله كلها بساتين بهيجة ، وجنات نضرة وانهار مطردة ، وطيور مغردة ، ولم يكن في بلاد الاندلس اكثر مالاً من اهل المرية ولا اعظم متاجر وذخائر ، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبته المشهورة بالحصانة ، وعلى الاخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض ، وغربيها ربض لها اخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وفنادق وصناعات ، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار اولية ، وكأنما غربلت ارضها من التراب ، ولها مدن وضياح عامرة متصلة الانهار . (4)

(1) - مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، نشره اميلو لافونتي اي . انكلترا ، 1867م ،

(نسخة مصورة عنها نشرتها مكتبة المثني - بغداد) ، ص 143 .

(2) - المقرئ ، ج 1 ، ص 154 .

(3) - د . محمود عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص 37

(4) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 1 ، ص 154

الخاتمة

المنشآت العمرانية تعد قديماً "وحديثاً" شكلاً متقدماً من أشكال الواجهات الحضارية لأنها تعطي وبشكل عام أكثر من دالة على حيوية أهلها ورخائهم الاقتصادي، فجامع قرطبة أقيم أيام كان الفن العربي في فجره ثم تدرج الفن العربي حتى وصل إلى الكمال، ويعد جامع قرطبة الذي بني في القرن الثامن من الميلاد وبعض المباني في طليطلة من آثار الدور الأولى لفن العمارة العربية في إسبانيا، وتعد منارة منارة لاجيرالدة (لجنة الهواء) الأشبيلية التي أقيمت في القرن الثاني عشر من الميلاد والقصر الأشبيلي من آثار الدور الأوسط لفن العمارة العربية، ويعد قصر الحمراء الغرناطي الذي شيد في القرن الرابع عشر من الميلاد عنواناً لما أنتهى إليه فن العمارة العربية.

إن فن البناء والتعمير يعكس لنا صورة واضحة فيما شيده العرب من حضارة وعمران تاركاً "صداهما في بلاد المغرب الإسلامي، فالآثار التي تركها فن العمارة الإسلامية من خلال الصومعة والتحديث الذي أحيطت به من قبل عبدالرحمن الناصر انعكس في اتخاذ منئذنة الناصر انموذجاً للمآذن الأندلسية المغربية.

إن نشاط الدولة في المجال العمراني هيأ لها أن تبقى شامخة شموخ الحضارة الراسخة إلى يومنا هذا فنراها ماثلة في البناء الحضاري الحديث للأمم والشعوب مما يؤكد أن الخلفاء أرادوا من وراء ذلك تمجيد عصورهم في بناء المنشآت المعمارية كالقصور والمكتبات، تعبيراً "عن رفاهية العيش والازدهار الاقتصادي في تلك الحقبة كما أن مشاركة الخلفاء في بناء المسجد الجامع بقرطبة بما فيهم الخليفة عبدالرحمن الناصر ترك بصمات كل خليفة واضحة على ذلك المسجد.

إن مبالغة مؤرخي العرب في وصف هذه القصور وما كانت عليه من الترف والثراء مما لا يصدق العقل والمنطق أكدت صحتها ما أسفرت عنه الحفريات التي أثبتت بشكل قاطع صدق ما ذهبوا إليه في وصفهم حيث كشفت التنقيبات عن قطع من أجمل ما أبدعه فن النحت في الرخام والجص والحجر في الأندلس.

إن هذا النهوض الذي شهدته بلاد الأندلس لم يكن متيسراً "لولا ظهور الحواضر والمدن مثل قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة وغيرها حيث أصبحت مراكز مشعة للحضارة العربية الإسلامية.

هذه العمارة الأندلسية تستحق منا الدراسة والاهتمام باعتبارها الآثار المادية القائمة التي تشهد بما أحرزته الحضارة الإسلامية في إسبانيا في العصور الوسطى من تفوق على سائر الحضارات الأوروبية.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، طبعة ليدن ، 1866م .
- 2- الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 866هـ) ، الروض المعطار في خير الاقطار ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، 1957م
- 3- ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت 367هـ) ، صورة الارض بيروت ، 1979م .
- 4- ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776هـ) ، اعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكنائي ، دارالكتاب ، الدار البيضاء ، 1964م .
- 5- ابن عذارى ، ابو عبد الله محمد المراكشي (ت 695هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، اربعة اجزاء ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، بريل ، 1951م .
- 6- العذري ، احمد بن انس العذري المعروف بابن الدلائي (ت 478هـ) - نصوص عن الاندلس ، تحقيق عبد العزيز الاهواني ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، 1965م .
- 7- المقرئ ، احمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1014هـ) - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دارالكتاب العربي ، بيروت
- 8- مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، نشره اميلولا فونتي اي . انكلترا ، 1867م ، نسخة مصورة عنها نشرتها مكتبة المثنى - بغداد .
- 9- ياقوت الحموي ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ) ، معجم البلدان ، طهران ، 1965م .

ب - المراجع

- الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، الطبعة الاولى ، 1976م .
- سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، القاهرة ، 1908م
- المساجد والقصور ، سلسلة اقرأ ، دارالمعارف بمصر ، 1958م .
- تاريخ مدينة المرية ، قاعدة الاسطول الاندلسي ، مكتبة الابحاث التاريخية والاثريّة ، دارالمعارف ، مصر ، 1962م .
- السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم ، الدكتور عبد الواحد ذنون طه ، الدكتور ناطق صالح مطلوب ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، 1986م .
- العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ الغرب والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1978م .

- العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، 1989م .
- عنان ، محمد عبد الله ، الاثارالاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مصر ، 1956م . دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ، 1969م.
- غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقله الى العربية عادل زعيتنر ، الطبعة الثانية ، 1948م ، داراحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، 1988م .
- ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، 1986م .

Summary

Establishments Urban is out of date , " and more recently " Hclamottagdma " forms of facades of civilization because they give generally more of a function of the vitality of its people and their economic well , Fjama Cordoba held days was art in the Arab ignited by then included Arab art until it reached perfection , is the Mosque of Cordoba , which was built in the eighth century of birth and some of the buildings in Toledo from the effects of the first round of architecture in the Arab Spain , and is a beacon beacon for Ajiraldh (toy air) Acpeleh erected in the twelfth century of birth and the palace Seville effects of the role of East architecture Arab , is Qasralhmra Granadan which was built in the fourteenth century Almiladenoana of " what happened to the art of Amarharab.

The art of building and construction reflects us a clear picture as built by the Arabs of civilization and Imran leaving " Saddahma in the Islamic Maghreb , Valather left by Islamic architecture through the silo and the update that surrounded him by Abdulrahman Nasser reflected in Atakazmizna Nasser a model " for Miazn Andalusian Moroccan.

The activities of the State in the field of urban prepared her to stay tall ÔăĈĬ civilization established to this day as we see fresh in the cultural building modern nations and peoples , which confirms that the caliphs wanted from behind the glorification spree in Ibnaoualmncat architectural Kalqsour and libraries , the expression " from the comfort of living and economic prosperity in those as the era post caliphs in the construction of the mosque of Cordoba , including the Caliph Abdul Rahman Nasser Khalifa leave fingerprints all clear that the mosque.

k